﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۚ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾

[الأعراف: 30]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

الـرَّبْـطُ بين الأوامرِ بالعبادةِ والإخـلاصِ، وبـين مـوقـفِ النّاسِ منها بينَ مُهْتدٍ وضَالٍّ

لَمَّا ذكرَ اللّهُ تعالى في الآيةِ السَّابقةِ أنَّ الخلقَ يعودونَ إليه يومَ القيامةِ؛ ناسبَ أنْ يَذكرَ في هذه الآية أنَّهم يَرجعون إليه فريقَيْن: فريقًا هداهُم في الدُّنيا ببعثِه الرُّسُلَ، فاهتدَوا بإيمانِهم به وإقامةِ وجوهِهم له وحدَه في العبادةِ، ودعائِه مُخلصينَ له الدِّينَ، لا يُشركونَ بهِ أحدًا ولا شيئًا، وفريقًا حقَّ عليهمُ الضَّلالةُ لاتِّباعِهم إغواءَ الشَّيطانِ، وإعراضِهم عن طاعةِ الرَّحمنِ، وكلُّ فريقٍ يموتُ على ما عاشَ عليه، ويُبعَثُ على ما ماتَ عليه.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿هَدَىٰ﴾: والهُدى ضِدُّ الضَّلَالِ، وجمهورُ اللّغويِّين على أنَّ الهُدى هو التَّوجيهُ إلى سبيلِ الرَّشادِ، لا مجرَّدَ التَّوجيه، كما يُستعمل الهُدى بمعنى الرَّشاد نفسِه. وفي الهُدى معنى الدَّلالة بلُطفٍ، وخصَّ ما كان دلالةً بـ(هديتُ)، وما كان إعطاءً بـ(أهديتُ). وقولُه ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ﴾ بمعنى: أرشدَهُ إلى الحقِّ والقسطِ[1].

2) ﴿ٱلضَّلَٰلَةُۚ﴾: ضلَّ الشَّيءُ خَفِيَ وغَابَ، يقال: ضلَّ الماءُ في اللَّبنِ؛ إذا غاب، وغُلب عليه؛ فلم يُتبيَّن، ومنه أَضْلَلْتَ الشّيءَ؛ إذا غَيَّبْتَه، وأَضْلَلْتَ المَيِّتَ دَفَنْتَه، وضَلَلْتَ المَسْجِدَ؛ إذا لَمْ تَعْرِفْ مَوْضِعَهُ، ويُستعملُ الضَّلالُ في كلِّ شَيْءٍ مُقيمٍ ثَابِتٍ لا تتبيَّنُ

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (هدى).

وجهتُه، والضَّلالَةُ هنا بمعنى: الضَّلال، وهو العُدولُ عنِ الطَّريقِ المُستقيم[1].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

بيانُ حالِ النَّاسِ في يومِ القيامةِ، بـينَ الـضَّـلالـةِ والهِدايةِ

ذكرَ اللّهُ تعالى أنَّ عبادَه الّذينَ يرجعونَ إليه يومَ القيامةِ، فريقان: فريقٌ وفَّقهم للهدايةِ إلى الصِّراطِ المستقيم، وفريقٌ وجبتْ عليهم الضَّلالةُ، فخُذِلوا؛ بسبب أنَّهم اتَّخذُوا الشَّياطينَ أولياءَ من دونِ اللّهِ، فأطاعوهم جهلًا منهم، وهم يظنُّونَ أنَّهم مُوَفَّقون؛ لاغترارِهم بخداعِ الشَّياطين[2].

وتُرشدُ الآيةُ الكريمةُ إلى أنَّ الهدايةَ بفضل اللّه ومَنِّه، وأنَّ الضلالةَ بخِذْلانه للعبدِ إذا تولّى - بجهله وظلمه - الشّيطانَ، وتسبَّب لنفسِه الضَّلالَ.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

الوقْفُ القرآنيُّ وتعدُّدُ المعنى:

التَّحريضُ على تَوخِّي الاهتداءِ، والإنـــذارِ مـنَ الـــوقـــوعِ في الضَّلالةِ

يحتمل أنْ يكونَ ﴿فَرِيقًا﴾ مفعولَ ﴿هَدَىٰ﴾، وقُدِّم للدَّلالة على اختصاصِ فريقِ المؤمنين بهدايةِ اللّه لهم، وأشعرَ الاختصاصُ بأنَّ فريقًا آخرَ ما أراد هدايتَهم، وقرَّر هذا المعنى، وأكَّده بأنْ عطفَ عليه ﴿وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾، وفي الاختصاصِ تأكيدُ هدايةِ اللّه للمؤمنين، للُزوم التَّأكيدِ للاختصاصِ، وعلى المعنَى الأَوَّلِ يَحسُنُ الوَقفُ عَلَى تَعُودُونَ، ويحتملُ أنْ يكونَ قولُه: ﴿وَفَرِيقًا﴾ في الموضعين حالًا من ضمير ﴿تَعُودُونَ﴾، ويَكُونُ الوَصلُ حينئذٍ أولى منَ الوقفِ على ﴿تَعُودُونَ﴾؛ لأنَّ الحالَ على معنى اقترانِه بصاحبه مقيِّدًا لعاملِه، فيكونُ متمِّمًا لمعنى سبقَه،

(1) الرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، والكفويّ، الكليّات، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (ضلل).

(2) البيضاويّ، أنوار التّنزيل، ونخبة من أساتذة التفسير، التّفسير الميّسر، ص: 153.

والمعنى: تعودون كما ابتدأ خَلقَكم مختلفين، بعضُكم مهتدون سعداءُ، وبعضُكم ضالُّون أشقياءُ[1].

نُكتة إسنادِ (الهُدى) إلى الله دونَ (الضَّلالةِ):

جَاءَ إِسنادُ الهُدَى إِلَى اللّٰه، وَلَمْ يجئْ مُقَابِلُهُ، فلم يقل: (وَفَرِيقًا أَضَلَّ)؛ للإشعار بأَنَّ الّذي ضلَّ إنَّما ضلَّ بفتنة الشّيطان، فإنَّ المساقَ مَسَاقُ مَنْ نُهِيَ عَنْ أَنْ يَفتِنَهُ الشَّيْطَانُ، وَإِخبَارٌ أَنَّ الشَّيَاطِينَ أَولِيَاءُ لِلَّذِينِ لَا يُؤمِنُونَ، كما أنَّ فيه تحسينًا للَّفظِ وتعليمًا لعبادِه الأدبَ[2].

من هُـديَ؛ فبِهدايةِ الله، ومَـنْ ضـلَّ؛ فبِفِتْنةِ الشَّيطانِ

براعةُ الاحْتباكِ في الآية:

في الآية احتباكان، فإنَّهُ لمّا أثبتَ للفريقِ الأوَّل ﴿هَدَىٰ﴾؛ دلَّ على أنَّ في المقابل حذفًا، والتَّقدير: وفريقًا أضلَّ، ثمَّ إنَّه لمّا أثبت للفريق الثاني حقوقَ الضَّلالةِ؛ دلَّ على حذف حقوقِ الهدى، والتَّقدير: (فريقًا حقَّ عليهم الهدى، فهدى، وفريقًا حقَّ عليهم الضَّلالةُ، فأضلَّ)[3]، كما أنَّه لمّا أثبت تعليلَ ضلالة الفريقِ الثاني بأنَّهم اتَّخذُوا الشَّياطين أولياءَ من دون اللّٰه - كما سيأتي بيانُه في دلالةِ (إنَّ) - أفاد أنَّ الفريقَ الّذي هدى إنَّما هداهم؛ لأنَّهم اتَّخذُوا اللّٰهِ وليًّا من دونِ الشَّياطين، ويعلمون أنَّهم مهتدون.

الـذيـن هـداهُـمُ الله؛ همُ الّذينَ لـم يـتَّـخـذُوا الشَّياطينَ أولياءَ

دَلالةُ تقديمِ فريقِ المهتدينَ، على الضَّالِّين في الآيةِ:

قدَّم فريقَ المُهتدين في قولِه تعالى: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ﴾ على فريق الضَّالّينَ؛ للدَّلالة على مزيد العنايةِ والاهتمامِ والاختصاصِ؛ كأنَّ الهدايةَ خُصَّت بهم، وفيه إشارةٌ إلى ذمِّ أهلِ الضَّلالِ.

أهـلُ الـهـدايـةِ هم أهلُ الشَّرفِ والسَّبْقِ

سِرُّ اختلافِ التعبير بين: ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ مَقابلَ الهدايةِ:

لمّا كان لفظُ ﴿حَقَّ﴾ في الآية، بمعنى: ثبتَ لهم الضَّلالةُ ولزمُوها،

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 5/39، والسّمين الحلبيّ، الدّر المصون: 5/300، والآلوسّي، روح المعاني: 4/348، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/90.

(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 5/39، والسّمين الحلبيّ، الدّر المصون: 5/301.

(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/386.

ولم يُقلعُوا عنها، دلَّ على أنَّ لزومَ الضَّلالة لهم مكتوبٌ عليهم ومقدَّرٌ؛ وذلك أنَّ المخاطَبين كانوا مشركين كلَّهم، فلمَّا أُمرُوا بأنْ يعبدُوا اللَّه مخلصين افترقوا فريقين: فريقًا هداه اللَّه إلى التَّوحيد، وفريقًا لازمَ الشِّرك والضَّلالةَ، فلم يطرأْ عليهم حالٌ جديدٌ، وبذلك يظهرُ حسنُ موقعِ لفظ: ﴿حَقَّ﴾ هنا، دون أنْ يُقال: (أضلَّهُ اللَّهُ)؛ لأنَّ ضلالَهم قديمٌ مستمرٌّ اكتسبوه لأنفسِهم، كما قال تعالى في نظيره: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ [النحل: 36]، فليس تغييرُ الأسلوبِ بينَ: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ﴾ وبينَ ﴿وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ تحاشيًا عن إسنادِ الإضلالِ إلى اللَّهِ، بل اختلافُ الأسلوبِ لاختلافِ الأحوالِ ومقاماتِ الكلام[1].

اخـتـلافُ الأُسـلـوبِ في الـقـرآنِ، لاخـتـلافِ الأحـوالِ ومقاماتِ الكلامِ

نُكتةُ التَّعبيرِ بـ(على)، في قوله تعالى ﴿عَلَيْهِمُ﴾:

عُبِّرَ بحرف الجرِّ (على)؛ لإفادة تمكُّن الضَّلالة منهم وإحاطتِها بهم.

سِرُّ حذْفِ المُسْنَدِ:

حُذف المُسندُ في قولِه تعالى: ﴿وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾، وتقديرُه: (وأضَلَّ فريقًا حَقَّ عليهم الضّلالة)، والغرضُ من ذلك الإيجازُ؛ لأنَّه يُفهمُ من ذكرِ مُقابلِه في أوَّل الجملة ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ﴾، ومن ذكْرِ الضَّلالة بعد ذلك في قولِه: ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾.

بيـانُ الإيـجـازِ، وكـونِـه مفهومًا من ذِكْـرِ مُقابلِه في السِّياقِ

بَلاغةُ الطِّباقِ في الآية:

قوله تعالى: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾، فيه طِباقٌ بين قولِه تعالى: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ﴾، وبين قولِه: ﴿وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾، وتظهرُ بلاغةُ الطِّباق فيما سيؤولُ إليه الخلقُ بعد بعثِهم منِ انقسامهم إلى فريقين: فريقِ هداه اللَّه، فربح، وفازَ بالجنة، وفريقٍ أضلَّه اللَّه بسبب اتِّباعه الشَّيطانَ، فخاب، وخسرَ.

بيانُ مآلِ الخلْقِ بعدَ بعْثِهم

(1) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 8/90.

المتشابِهُ اللَّفظِيُّ بين آيتي الآعراف (29)، والنّحلِ (36):

للحروف أثرٌ في زيادةِ المبنَى واختلافِ المعنَى

النَّاظرُ في هذه الآيةِ في سورة الأعرافِ في قولِه تعالى مع ما جاء في سورة النّحل: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ﴾ [النحل: 36]، يجدُ أنَّ موضعَ الأعراف ﴿حَقَّ﴾، وفي النَّحل ﴿حَقَّتْ﴾ [النّحل: 36]، فلحقتْ تاءُ التَّأنيثِ مَوضِع النَّحل، ولم تلحقْ موضعَ الأعراف، وعلى هذا يوجد فرقٌ بينهما في التعبيرِ.

والفرقُ بينهما من وجهين لفظيٍّ ومعنويٍّ: أمَّا اللَّفظيُّ؛ فهو أنَّ الحروفَ الحواجزَ بين الفعل والفاعل في قوله: ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۚ﴾ أكثرُ منها في قوله: ﴿حَقَّتْ عَلَيْهِ﴾ [النحل: 36]، وقد تقدَّم أنَّ الحذف مع كثرة الحواجزِ أحسنُ، وأمَّا المعنويُّ؛ فإنَّ (مَن) في قوله: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ﴾ [النحل: 36] واقعةٌ على الأمَّة والجماعة، وهي مؤنَّثة لفظًا، ألا تراه يقول: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾ ثم قال: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ﴾ [النحل: 36] أي: من تلك الأمم أممٌ حقَّت عليهمُ الضَّلالةُ، ولو قال بدل ذلك: ضلَّت؛ لتعيَّنتِ التاء، ومعنى الكلامين واحدٌ، وإذا كان معنى الكلامين واحدًا؛ كان إثبات التاء أحسنَ من تركها؛ لأنَّها ثابتة فيما هو في معنى الكلام الآخر، وأما: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۚ﴾، فالفريقُ مذكَّرٌ، ولو قال: فريقًا ضلوا؛ لكان بغير تاء، وقوله: ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۚ﴾ في معناه، فجاء بغير تاء، وهذا أسلوبٌ لطيفٌ من أساليبِ العربيَّة[1].

ومما يُذكر في الفرق - أيضًا - أنَّه في سورة الأعراف ذكرَ قولَه: ﴿عَلَيْهِمُ﴾ وفي سورة النَّحل ﴿عَلَيْهِ﴾؛ فعبَّر في الأعراف بالجمع مراعاةً للَّفظ ﴿فَرِيقًا﴾، وفي سورة النَّحلِ بالمُفرد، مراعاةً للَّفظ ﴿مَّنْ﴾.

(1) ابن القيّم، بدائع الفوائد: 1/126.

دَلالةُ التَّعبيرِ بـ(إنَّ)، في سياقِ الآيةِ الكريمةِ:

يحتمل قولُه تعالى: ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ﴾، أن يكونَ استئنافًا بيانيًّا، وبيانُه أنَّه لمّا ذكر الله تعالى أنَّ الفريقَ الثّاني ثبتتْ عليه الضَّلالَةُ، كأنَّ سائلًا سأل: لماذا حقَّت عليهم الضَّلالةُ، ولم يهتدُوا؟ فجاء قولُه: ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ﴾ ليكونَ جاريًا مَجْرى التّعليلِ، وهذا شأنُ (إنَّ)؛ إذا وقعتْ في صدر جملة عقِبَ جملةٍ أخرى أن تكون للرَّبط والتّعليل، والمعنى: حَقَّ عليهم الضَّلالةُ لاتِّخاذهم الشياطينَ أولياءَ، ويُحتمَلُ أن تكونَ (إنَّ) لتحقيقِ ضلالِهم وتأكيدِه باتِّخاذِهم الشَّياطينَ أولياءَ من دون اللّه[1].

سَبَبُ ضَلالِ المشركين، اتِّخاذُهمُ الشَّياطينَ أولياءَ من دونِ الله

دَلالةُ التَّعبيرِ بلفظِ ﴿ٱتَّخَذُواْ﴾، دونَ غيرِه:

آثرَ التَّعبيرَ بلفظِ ﴿ٱتَّخَذُواْ﴾ دون غيرِه؛ كالاتِّباع مثلاً؛ لأنَّ الاتِّخاذَ – بمعنى: اتِّخاذِ الشَّيءِ لنفسه بقوَّةٍ حرصًا على تحصيلِه والتّمكُّن منه – أفاد أنَّ الّذينَ حقَّ عليهم الضَّلالةُ اتَّخذُوا الشَّياطينَ أولياءَ لأنفسِهم محبَّةً ورغبةً وحرصًا على أنْ يكونَ الشَّياطينُ أولياءَهم من دونِ اللّه[2]، وهذا المعنى لا يتأتَّى إلا من لفظِ ﴿ٱتَّخَذُواْ﴾ ويُشيرُ – أيضًا – إلى كمال انقيادِهم لهم.

حِرْصُ المشركين على اتِّخاذِ الشَّياطين أولياءَ من دونِ الله

سِرُّ التَّعبيرِ بالجمْعِ دونَ الإفرادِ، في سِياقِ الآيةِ الكريمةِ:

في قولِه تعالى: ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ﴾، عبَّر بالجمعِ في ﴿ٱلشَّيَٰطِينَ﴾، و﴿أَوۡلِيَآءَ﴾؛ للدَّلالةِ على أنَّهم لم يَتْركوا سبيلًا يؤدِّي بهم إلى الضَّلال إلا سلَكُوه واتَّبعوه، وهذا ممَّا يؤكِّدُ استحقاقَهم للضَّلال.

تأكيدُ استِحقاقِهم للضَّلالِ، يُبرِّرُ عقوبَتهم

دَلالةُ الصِّفةِ في قولِه تعالى: ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾:

لمّا كان الجارُّ والمجرورُ في قولِه تعالى: ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ في محلِّ نصبٍ نعتًا لِـ ﴿أَوۡلِيَآءَ﴾؛ أفاد النَّعتُ التّخصيصَ بمعنى: اتَّخذوا

مَن ضلَّ عن اتِّخاذِ اللهِ وليًّا؛ استحقَّ العذابَ المهينَ

(1) البيضاويّ، أنوار التنّزيل: 3/10، وأبو حيّان، البحر المحيط: 5/40، والسّمين الحلبيّ، الدّر المصون: 5/301، والقونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 8/372.

(2) ابن مالك، شرح التّسهيل: 3/455، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (أخذ).

الشَّياطين أولياءَ من غيرِ اللّه؛ ليكونَ النَّعتُ على معنى الذّمِّ والتّوبيخِ، كما أنَّ في النّعتِ إشعارًا بالتَّعجيبِ من حالِهم، إذْ ضلُّوا عنِ اتِّخاذِ اللّهِ وليًّا، فاستحقُّوا الضَّلالةَ والعذابَ.

الواو في الفعل ﴿وَيَحْسَبُونَ﴾ بين الحاليَّةِ والعطْفِ:

المخطئُ والمعانِدُ سواءٌ، فلا عذرَ للضَّالِّ في ضَلالِه ولو بالخطأِ

تحتمل الواوُ أنْ تكون حاليَّةً، ولمّا كان الحالُ على معنى اقترانِه بصاحبه؛ أفاد المعنى: أنَّهم اتَّخذوا الشَّياطين أنصارًا يُطيعونَهم في حالِ أنَّهم يظنُّون أنَّهم مهتدون بفعْلِهم، فظنُّهم مُقترنٌ باتِّخاذِهمُ الشَّياطينَ أولياءَ، والحالُ في حيِّز التَّعليلِ، فأشعرَ الحالُ أنَّهم مع قُبحِ فعلِهم في اتِّخاذِهمُ الشَّياطينَ أولياءَ يطيعونَهم، لم يعترفوا على أنفسِهم بالضَّلالة، وهذا أشدُّ في تمرُّدِهم وعِنادِهم[1].

كما تحتملُ أنْ تكونَ عاطفةً، أي: عَطْفَ جُملةِ: ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ على جملةِ ﴿ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ﴾، ولمّا كان العطفُ على معنى التَّشريكِ في الحكمِ للمعطوفِ والمعطوفِ عليه؛ دلَّ على اعتبارهما سواءً في الإخبارِ عنِ الفريق الّذينَ حقَّت عليهمُ الضَّلالةُ، لقصدِ الدَّلالةِ على أنَّ ضلالَهم حاصلٌ في كلِّ واحدٍ منَ الخبرين، فولايةُ الشَّياطينِ ضلالةٌ، وحسبانُهم ضلالَهم هدًى ضلالةٌ أيضًا، سواءٌ كانَ ذلك كلُّه عن خطأٍ أو عن عنادٍ، فيدلُّ على أنَّ الكافرَ المخطئَ والمعاندَ سواءٌ في استحقاقِ الذَّمِّ، إذْ لا عذرَ للضَّالِّ في ضلالِه بالخطأ؛ لأنَّ اللّه نصبَ الأدلَّةَ على الحقِّ وعلى التَّمييزِ بينَ الحقِّ والباطلِ، كما دلَّ العطفُ على اعتبارِ الجملتَين تعليلًا لضلالِهم أو تحقيقًا وتأكيدًا له[2].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/386، والآلوسّي، روح المعاني: 4/384، والقنوجيّ، فتح البيان: 4/331، ورشيد رضا، تفسير المنار: 8/336.

(2) الآلوسّي، روح المعاني: 4/348، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/92.

دَلالةُ لفْظِ ﴿وَيَحْسَبُونَ﴾، في سياقِ الآيةِ:

لابدَّ في الاعتقادِ منَ اليقينِ، فلا يكفِي مُجرَّدُ الظَّنِّ فيهِ

لمّا كان ﴿وَيَحْسَبُونَ﴾ هنا بمعنى الظَّنِّ أفاد التَّعبيرُ أنَّ مجرَّدَ الظَّنِّ لا يكفِي في صحَّةِ الدِّينِ، بل لا بدَّ فيه منَ الجزمِ والقطعِ واليقينِ؛ لأنَّه تعالى عابَ الكفَّارَ بأنَّهم يحسَبونَ كونَهم مُهتدين، ولولا أنَّ هذا الحسبانَ مذمومٌ؛ لَمَا ذمَّهم بذلك، كما أفادَ الفعلُ جهلَهم المركَّبَ، الدَّالَّ على ما يظهرُ بأنّهم عالمون بهدايتِهم، وهم في الحقيقة جاهلون بها؛ إذ همْ على الضَّلالِ، ويظنُّون أنَّهم على الهدايةِ[1].

مُناسبةُ التَّعبيرِ بصِيغةِ المضارعِ، ﴿وَيَحْسَبُونَ﴾:

تجدُّدُ ضلالِهم واستمرارُه، دليلٌ على رُسوخِهم في الضّلالِ

أفاد مجيءُ الفعلِ بصِيغةِ المضارعِ استمرارَ حُسبانِهم أنَّهم مهتدون، فإذا كانتِ الجملةُ حالًا؛ دلَّت على تجدُّدِه حالًا فحالًا، وإذا كانتِ الجملةُ على معنى تحقيقِ ضلالِهم؛ دلَّت على استمرارِه وتجدُّدِه كذلك.

دَلالةُ المصدرِ المؤَوَّلِ: ﴿أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾:

الدَّلالةُ على أنَّ ظنَّهم ثابتٌ في أنفُسِهم

عُبِّر بالمصدرِ المؤَوّلِ من (أنَّ) والجملةِ الاسميَّةِ؛ للدَّلالةِ على أنَّ ظنَّهم ثابتٌ في أنفسهم لا يشكُّون فيه، وأفادت (أنَّ) تأكيدَ هذا الظّنِّ وتقريرَه.

سِرُّ خِتامِ الآيةِ بقولِه تعالى: ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾:

الدَّلالةُ على أنَّهم أصحابُ ظنٍّ وتوقُّعٍ، وهُم في ضلالٍ بيِّنٍ

خُتِمَت الآيةُ بحسبان أنَّهم مهتدون دون غيرِه منَ الأوصاف؛ للدَّلالةِ على أنَّهم أصحابُ ظنٍّ وخاطرٍ وتوقُّعٍ لشيءٍ ما، وهم في الحقيقة منَ الّذينَ ضلَّ سعيُهم، ويَحسبون أنَّهم يُحسنون صنعًا فيما ارتكبوا منَ الفواحش كطوافِهم بالبيت الحرام عرايَا، بزعم كاذبٍ أنَّهم لا يطوفون في ثيابٍ عَصَوُا اللّه فيها، ومِمّا يؤكِّدُ هذا الزَّعمَ الكاذبَ، التَّعبيرُ بالاسميَّةِ ﴿مُّهْتَدُونَ﴾ دونَ الفعليَّةِ (اهتدَوْا).

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 14/228، وأبو حيّان، البحر المحيط: 5/39، والنيّسابوريّ، غرائب القرآن: 3/224.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الظّنُّ والحُسبانُ:

الظّنّ ضربٌ منَ الاِعْتِقَاد، وَقد يكونُ حسبانًا لَيْسَ باعتقاد، وأصلُ الحُسبان منَ الحساب تَقول أَحْسبهُ بِالظَّنِّ قد مَاتَ، كَمَا تَقول أعدّه قد مَاتَ، ثمَّ كثر حَتَّى سمّيَ الظَّنُّ حُسبانا على جِهَة التَّوَسُّع وَصَارَ كالحقيقة بعد كَثْرَة الاِسْتِعْمَال[1]، وإذا جمعا معا دلّا على المبالغة وغلبة الظّنّ[2]. وفُرّق بين الفعل منهما، فيُقالُ في الظّنّ: حَسِبَ، وفي الحساب: حَسَبَ؛ ولذلك فرّق بين المصْدرين، فقِيل: حِسْبانٌ وحُسْبانٌ[3].

الظنُّ لونٌ منَ الاعتقادِ، ليس مقطوعًا به، والحُسبانُ ما ليسَ باعتقادٍ

(1) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 99.
(2) الكورانّي، الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري: 6/450.
(3) العسكري، الفروق اللّغويّة، ص: 99.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث عشر، سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 13 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-09-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 13 : سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-09-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6551762 بتاريخ 2023/12/20م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»